البَيَان، في إثبات معنى من المعاني لإنسان، أو نفيه عنه، ولا يخفى أنَّ ذلك أفخم وأبلغ للأسلوب، وأدعى لفضله.

ومثله قول البحتري:

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ في آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

إذ كنَّى بهذا التعبير عن كون آل طلْحَةَ سادةً، ثُمَّ أشرافاً أَهْلَ مَجْد، فَمَنْ ألقى المجدُ رحْلَهُ في داره ولم يتحوَّل عنها، فلا بُدَّ أنْ يكون المجدُ منسوباً إليه؛ لعظيم شرفه ورفيع منزلته... وفي هذه الكناية إمتاعٌ للأديب بصورةٍ أدبيَّةٍ جميلةٍ.

المطلب الثاني- التَّعرِيض:

التَّعرِيضُ- لُغَةً واصطلاحاً:

التَّعْرِيضُ في **اللغة** ضِدّ التَّصريح؛ يقال: عرَّضتُ لفلان أو بفلان، إذا قُلتَ قولاً وأنت تعنيه، أي: أنْ تُخاطِب واحداً وتُريد غيره، **واصطلاحاً** (**هو أن يُطلقَ اللفظُ ويُشار به إلى معنىً آخر يُفهمُ من السياق، تستعملهُ العربُ في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجهٍ هو ألطفُ وأحسنُ من الكشف والتَّصريح، ويُعيبون الرَّجلَ إذا كان يُكاشف في كلِّ شيءٍ، ويقولون: لا يحسن التَّعْرِيضَ إلاّ ثَلباً**).

من ذلك التَّعْرِيضُ في خِطبة النساء، قال-تعالى-:﴿﴿[البقرة:235]، فقد جوَّز-تعالى- في خطبة النساء التَّعْرِيض، بدلاً من التَّصريح بلفظ النِّكاح، تأدُّباً وحُسْنَ اختيارٍ للألفاظ المناسبة للمقام، كأن تقول: إنّي أريدُ التَّزويجَ... وإني أُحِبُّ المرأةَ من أمرِها كذا وكذا... وإنَّ من شأني النساء... ولَوَدِدْتُ أنَّ اللهَ يَسَّرَ لي امرأةً صالحةً... ونحو ذلك.

والفرق بين الكناية والتَّعْرِيض أنَّ **الكناية** أن تذكُرَ الشَّيءَ بغيرِ لفظهِ الموضوع، **والتَّعْرِيضُ** أن تذكر شيئاً تدلُّ به على شيءٍ لم تذكره؛ كما يقول المحتاج للمحتاج إليه: جِئتُك لأُسلِّمَ عليك، ولأنظرَ إلى وجهِكَ الكريمِ ...

فضلاً عن ذلك أنَّ **التَّعْرِيضَ** يُسمَّى بأسماء أُخر ترادفُهُ في الاصطلاح من مثل: معاريض الكلام أو الكلام المنصف أو الإشارة والرمز أو التلويح، لأنَّه يلوح منه ما يريده ويرمز إليه.

ومن أمثلة ذلك توجيه المتكلمُ الخطابَ للغير والمراد خصمَه؛ للتلطف واستدراج الخصم، كما في قوله-تعالى- على لسان نبيّهِ إبراهيم الخليل-ﷺ-:ﭽﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ[الأنبياء:63]، فمقصدُ نبيّ الله-السَّلام- هنا التَّعْرِيض؛ إذ أراد-السَّلام- أن يُبيِّنَ لهم أنَّ من لا يتكلم ولا يعلم ليس بِمُستَحِقٍ للعبادة، ولا يصح في العقل أن يُطلق عليه أنَّه إلهٌ، فأُخرج الكلام مخرج التَّعْرِيض لهم، بما يوقعهم في الاعتراف بأنَّ الجمادات الَّتي عبدوها ليست بآلهة، لأنَّهم إذا قالوا: إنَّهم لا ينطقون، قال لهم: فكيف تعبدون من يعجز عن النَّطق ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه؟! فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تُلزمَهُ الحجَّةَ ويعترفَ بالحقّ، فإنَّ ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرته، وبذلك يُمكنُكَ منْ أنْ تَشْفيَ غلَّتَك منْ خصمِك منْ غيرِ أنْ تجعلَ له إليك سبيلاً، ودون أنْ تخدشَ وَجْهَ الأدبِ.

وعلى الرَّغم من وجود حديثٍ عن أبي هريرة-رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ-ﷺ- قال: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ-السَّلام- قَطّ إِلَّا ثَلَاثَ كذبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ: قَوْلُهُ: (**إِنِّي سَقِيمٌ**)، وَقَوْلُهُ: (**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**)، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارة»[1]، فلا وجود لخلاف بين أهل العلم أنَّ هذا القول صدر من نبيِّ اللهِ-السَّلام- على طريقة التَّعْرِيض في استدراج الخصم ومُحاجحته، كما لا يخفى ما ضمَّنه هذا التَّعْرِيض من معانٍ جَمَّـةٍ كلُّها تؤدي إلى أنَّ التَّعْرِيض فيه من الإيجاز والاختصار ما تضيق عنه المجلدات؛ إذ صُوّر في وجهين: الأوَّل: أنَّه-السَّلام- لم يرد بذلك نسبة الفعل إلى كبير الأصنام، وإنَّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على رمزٍ خفيٍّ ومسلكٍ دعويٍّ في التَّعْرِيض، مع إلزام الحجة وتسفيه أحلامهم، والثَّاني: أن يقال: إنَّ كبير الأصنام غضب لَمَّا عُبد معه غيره من هذه الأصنام الصغار فكسرها، وغرضه-السَّلام- بذلك أن يُعرِّضَ بهم في كونهم قد أشركوا في العبادة مَن هو دون الله-تعالى-، وأنَّ مَن دونه مخلوقٌ حقيرٌ من مخلوقاته، فوضع هذا الكلام موضع التَّعْرِيض، بدلالة السياق وقرائن الأحوال.

ومنه أن يُخاطبَ الشَّخص والمراد غيره، سواء كان الخطاب مع نفسه أم مع غيره، ويكثر ذلك في مخاطبة النبيّ-ﷺ- والمراد غيره من أمَّته على سبيل التَّعْرِيض، كما في قوله-تعالى-:ﭽﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴﭼ [يونس:94-95]، فالخطاب وإن كان مُوجَّها إلى النَّبيِّ-ﷺ-، لكنَّ المراد به التَّعْرِيض لأُمَّتهِ؛ فحاشاه-ﷺ-، من الشَّك والرَّيب والشِّرك، فهذا كلُّه ممَّا لا ينبغي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

[1] صَحِيحُ البُخَارِيّ(3179):1225/3، وصَحِيحُ مُسْلِمٍ(2371):1840/4.

ومما يضارع الشَّاهد السَّابق في بيان التعريض قوله-تعالى-:چے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې چ [الزمر:٦٥-٦٦]، فهذا الكلام من باب التَّعْرِيض لغير الرسل؛ لأنَّ اللهَ-سُبْحَانَهُ- قد عصمهم عن الشرك، ووجه إيراده على هذا الوجه التَّحذير والإنذار للعباد من الشرك، لأنَّه إذا كان موجباً لإحباط عمل الأنبياء على الفرض والتَّقدير، فهو مُحْبِطٌ لعمل غيرهم من أُممهم، بطريق الأولى، وهذا ممَّا لا شكَّ فيه أنَّه من التَّعْرِيض بالخصم لاستدراجه إلى الإذعان والتَّسليم والإيمان بالله الواحد الأحد.

ومن أمثلة التعريض ما جاء في قوله-تعالى-: چچ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ[المائدة:44]، فإنَّ المراد بإسلامِ النَّبيين هنا التَّعْرِيض لغيرهم، إذ إنَّ معنى(أَسْلَمُوا) هنا: اخلصوا لله-تعالى-، وهو صِفةُ مدحٍ أُرِيدَ به التَّعْرِيض باليهود؛ لأنَّهم بخلاف هذه الصفة، وليس المراد هنا الإسلام الذي هو ضدّ الكفر؛ لأنَّ الأنبياء لا يُقال فيهم: أسلَمُوا على هذا المعنى، لأنَّهم لم يكفروا قط، وإنَّما هو كقول إبراهيم-عليه السلام-:چگ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ڻ ۀ ۀ ہ چ[البقرة:١٣١]، وقوله-تعالى-:چگ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ چ [آل عمران:٢٠]، ونحو ذلك على التَّعْرِيض، لأنَّه أُسلوبٌ من أساليب الدَّعوة إلى سبيل الموحدين، الَّذي يلوحُ بالأُفق إلى أنَّ الدُّعاةَ إلى الله-تعالى- يجب أن يسلكوا هذا السَّبيل النَّاجع في استدراج الخصم، وإخراجه من شُبهات الضَّلالِ إلى نُورِ التَّوحيد، ونبذِ كُلِّ ما سواه.

ولا يخفى عليك الأسلوب الرباني في تعليم العباد كيفية الدعوة إلى طريق الحقِّ وسبيل الصالحين؛ قال تعالى: چ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ چ[سبأ:٢٤-٢٧].

ومنه قوله سبحانه في سورة(يس): چگ ڱ ڱ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ي ي ي ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی □ □ □ □ □ چ.

ومنه قوله سبحانه في سورة (القصص): چ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ چ، وهذا أوضحُ من أن يُشرح، وأمثاله كثير.